الموت في سبيل الحياة

بقلم رئيف خوري

الشرف لك يا مصر !

والشكر لك يا مصر !

لأول مرة منذ عصرٍ في التاريخ كاد ينساه التاريخ، مكّنت العربي، كل عربي، ان يرفع جبينه عن التراب الى الشمس ويحدّق فيها بعين لا يرفّ لها جفن !

لأول مرة مكنت العربي، كل عربي، ان يعرّي نفسه امام نفسه فلا ينكس رأسه، وان يهتف في وجه الدنيا انا عربي فلا يخجل.

لأول مرة مكنت العربي، ان يلتمس المجد والكرامة فيجدهما في حاضره ولا يرجع عشرة قرون، او ثلاثة عشر قرناً في مسافات الزمان.

الشرف لك يا مصر !

الشكر لك يا مصر !

انت علمتنا ان الحق يستطيع ان يُنبت له ظفراً وناباً، وان يلاقي بهما الباطل وظفره ونابه فيخزى الباطل ويمرّغ تحت الأقدام.

انت علمتنا ان المستعمرين، برغم مظاهر الحضارة التي بها يتلبسون، متخلفون عن حقيقة الحضارة أحقاباً واجيالا، فما زالوا يجهلون ان الحديد والنار على الشعوب، ان الارهاب والقتل والدمار، لا تدفع بالشعوب الى استسلام واستخذاء وانما تثير فيها التحدي وتبعث فيها الاباء، فتحفر بهذا الاباء والتحدي للمستعمرين قبوراً يحتلونها وما غيرها يحتلون !

وعلمتنا يا مصر ان المستعمرين لن يدركوا، هذه الحضارة التي قد تخلفوا عنها اجيالا واحقاباً قبل ان يموتوا بايدي الشعوب وبينها شعبك العربي الفادي، السخي في الفداء.

الشرف لك يا مصر !

والشكر لك يا مصر !

لقد استطعت ان تطرحي على الدنيا قضية حق، وان تثبتي ان العالم لم يخل كله من ضمير يهتز للحق، واستطعت يا مصر ان توقظي هذا الضمير العالمي فيستفيق غاضباً، مدركاً الحقيقة، برغم ما سقوه من مخدرات وسعوا ان يغمّوا عليه بالأضاليل !

لقد جعلت كلمة مصري، وكلمة عربي تعني القوة والاستقلال والكرامة والغضب للحق، والذين ارادوا تطويقك بالحديد والنار لتركعي، وليزدردوك لقمة سائغة، جبهت حديدهم بالحديد ونارهم بالنار وطوقتهم بالخزي والعار، فجعلت كلمة بريطانيين وفرنسيين وصهيونيين ممن اعتدوا عليك وعلى اطفالك ومساجدك وكنائسك تعني القرصنة والحقارة والتوحش الغابيّ عند الشعوب كلها وحتى عند كثير من البريطانيين والفرنسيين انفسهم.

الشرف لك يا مصر !

الشكر لك يا مصر !

انت، بيد بصيرة، وعزم سديد، مزقت اوهاماً خبيثة مضرّة. مزقت الوهم : ان شعباً يستطيع ان يستقل او يتحرر او يحيا حياة كريمة بغير السلاح والكفاح. مزقت الوهم : ان المستعمرين يفهمون شريعة او قانوناً او رحمة او ديناً. مزقت الوهم : ان الصهيونيين قادرون بانفسهم ان يوجدوا، واكدت ان الصهيونيون هؤلاء لا ينشدون كما يدعون ملجأ لشعب مشرد وانما كانوا، وما كانوا إلا ليمثلوا دور كلاب مسعورة لأسياد مستعمرين مسعورين.

الشرف لك يا مصر !

الشكر لك يا مصر !

يا معلمة الشعوب العربية وجميع الشعوب المستضعفة كيف يكون الموت في سبيل الحياة !

وبعد يا مصر، فما أتفه هذا الحبر في جنب الدم الذي ترقرق في ساحات بور سعيد الخالدة، وساحاتك كلها، من شهدائك الابطال، فتفجّرت من جداوله اشعة منيرة محيية قوية، اشعة فجر النصر والحرية.

رئيف خوري